وأون بن فالت بنو رأوبين يقاومون موسى مع أناس من بنى إسرائيل مائتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوى إسم ، فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفاكما . إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب ؛ فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب[1] ؟

كانت هذه بداية المؤامرة التى أضمرها الخارجون على موسى وهارون ، بيد أن الله العلى القدير عجل لهم العذاب وأنزل عليهم العقاب ( وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة[2] ) .

وعلى مايبدو فإن المؤامرة كانت جماعية ، يقرها جميع بنى اسرائيل الذين أتوا موسى مجتمعين ( تذمر كل جماعة بنى إسرائيل فى الغد على موسى وهارون قائلين : أنتما قتلتما شعب إسرائيل[3] ) .

وأراد الله أن ينصر الذين نصروه ويحق القول على بنى إسرائيل فقد قال لموسى وهارون ( أطلعا من وسط هذه الجماعة فإنى أفنيهم بلحظة[4] ) .

---

(١) سفر العدد ١٦ : ١ — ٣٠
(٢) سفر العدد ١٦ : ٣١ — ٣٢
(٣) سفر العدد ١٦ : ٤١
(٤) سفر العدد ١٦ : ٤٤ — ٤٥

لقد أفنى الله من بنى إسرائيل بعد حادثة قورح أربعة عشر ألفاً، وكانوا هم الرجال المعدون للحرب حيث جاء فى التوراة أن الذين كان سنهم عشرين سنة فأكثر ماتوا بسبب الأوبئة ( أربعة عشر ألفاً عدا الذين ماتوا بسبب قورح[1] ) .

وحكم على الباقى الذين نجوا بالتيه فى الأرض لمدة أربعين سنة .

ومضت السنوات : فمات هارون وموسى عليهما السلام .

ودخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة بعد أن انقضت سنوات التيه .

— ٢ —

أصبح المجتمع اليهودى — إن جاز هذا التعبير — نهباً لتقاليد خالطها الكثير من العفن ، والنفاق ، والانتهازية ، مما جعل الأنبياء يكثرون وتكاد صيحاتهم المنذرة ، تزحم جو السماء .

وقد أراد اليهود الذين استولوا بدهائهم ونسائهم على ملوك فارس أن تكون لهم الكلمة العليا فى أورشليم ، فأخذوا يزينون للملك ارتخششنا أن يسمح بعودة عزير فى ألف وخمسمائه يهودى ممن شبوا

(١) سفر العدد ١٦ : ٤٨ — ٤٩

فى أرض السبى إلى أورشليم ، ليمكنوا لسلطان فارس فى الأرض المقدسة .

وعاد عزير والذين معه إلى بيت المقدس ، وكان عزير يحمل التوراة ، التى أعيدت كتابتها فى بابل بعد أن أحرق نبوخذ نصر كل نسخ التوراة .

وقد تأثرت التوراة التى كتبها أحبار اليهود فى أرض السبى بأساطير البابليين ، يقول جوستاف لوبون فى كتابه «اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى» :

( إن قصص الكتاب المقدس قد نقلت عن أساطير الكلدانيين التى وردت فى النصوص الأشورية فأصبحت القصص التى كانت خرافات لم تحدث فى تاريخ كلدة أوقعها صحيحة خيال بنى إسرائيل وأثبتوها بأنها حدثت بالفعل معهم . من ذلك قصة شمشون الهرقل اليهودى ) .

ويقول أيضاً : ( وأثبت المؤرخون أن الديانة اليهودية ما هى إلا جملة المذاهب الكلدانية وانتحلها هذا الشعب فهى مشتقة من معتقداتهم ) .

ويقول المسيو رينان : إن كاتبى التوراة لم يخترعوا الأقاصيص

الرائعة فقط بل عملوا على ألباسها ثوب الحقيقة الواقعة ودمغوها بطابع التقديس لتتمكن من عقول البسطاء .

وما كان الناس يرونه غريباً خرافيـــاً من أقاصيص تاريخ الـكلدانيين بدت أمام البسطاء أنها أقاصيص واقعية حدثت لقضاتهم وأنبيائهم فتحاشوا تـكذيبها خشية وصمهم بالـكفر والإلحاد وغضب الـكهنة . من ذلك قصة شمشون التى وردت فى سفر القضاة إصحاح ١٣ وما بعده . فما تاريخ شمشون إلا قصة هركول « هرقل » البابلى الأصل مجددة باسم شمشون وكان هرقل ذا قدرة غريبة ويأتى بأفعال عجيبـة ببساطة . وأما إسم شمشون فترجمة لـكلمة الشمس أى نصف الإله ) .

راحت التوراة الجديدة تروى تاريخ اليهود ، ولما كان اليهود يومئذ أذلة ملطخين بالعار فقد ألصقوا بالرسل والأنبياء كل نقيصة ، وجعلوهم يشربون الخمر ويرتـكبون الفواحش ويضطجعون مع بناتهم ولا يتورعون عن الـكذب والزنا وإتيان الفسوق ! !

وقصصهم فى هذا المجال كثيرة ، وذكرت فى التوراة مراراً ، ولم يكن تمسكهم بالفضيلة معروفاً بل فى زمن من الأزمان تركوا إلههم وعبدوا آلهة الصوريين [ فى صور ] فهى تلائم طبعهم وهى عشيرا

[ أو عشرتوت أو عشتارتا وفى بابل هى عشتار ] .

فقد كان لها حظوة كبرى عند الإسرائيليين فتقام لهـذه الآلهة ( أو الإله ) هياكل على تلال ذات هواء منعش وتحاط هذه الهياكل بغاب الزيتون وتتجمع فيهـا النساء لقضاء متعات المؤمنين ! ! الذين يتزاحمون على هذه الهياكل تقرباً إلى الإله !

ثم تحولت هذه العبادة من تداولها مع العاهرات إلى تداولها مع الشبان من ذوى الشذوذ الجنسى يبيعون أجسادهم للمؤمنين !

وقال يهوه يخاطب الطائفة اليهودية :

[ اتكلت على جمالك وزنيت على اسمك وسكبت فواحشك على كل مجتاز له ما تبتغين وأخـذت من ثيابك فصنعت لك مشارف ملفقة الشقق وزنيت فيها زنى لم يكن ولا يكون ] .

وقد وصف حزقيال هذا المجتمع اليهودى ونظمه وصفاً دقيقاً بأنه ( نظام رعائى مع طبائع المدن الأسيوية الهرمة وذوقها وعيوبهـا وخرافاتها ) .

كان اليهود فى فلسطين فى شوق ملح إلى التوراة ، فلما جاءهم عزير بمـــا كتب فى أرض السبى فتنوا به حتى أنهم قالوا : عزير بن الله ! !

واليهود ، يمنحون أنفسهم من الامتيازات مايجعلهم فوق البشر ، ثم هم يعيشون فى دائرة مغلقة ، منطوية .

وهم « فى أورشليم » يشكلون ( بنكا ) جشعاً ، يعبد المال ، ويحتكر الثروة ، ويضرب الفقراء والمحتاجين بسياط الربا والاستغلال والجشع . . .

وإنهم ليبلغون فى غرورهم الأحمق المدى الذى يقولون عنده : « إن الله فقير ونحن أغنياء » !

فى سفر حزقيال اصحاح ٢٢ فقرة ٦ :

( هوذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سـفك الدم . فيك أهانوا أباً وأماً فى وسطك عاملوا الغريب بالظلم .

فيك اضطهدوا اليتيم والأرملة .

وازدريت أقداسى ونجست سبوتى .

كان فيك أناس وشاة لسفك الدم وفيك أكلوا على الجبال .

فى وسطك عملوا رذيلة .

فيك كشف الانسان عورة أبيه .

فيك أذلوا المتجسة بطمثها .

إنسان فعل الرجس بامرأة قريبة .

إنسان نجس كنته برذيلة .

إنسان أذل فيك أخته بنت أبيه .

فيك أخذوا الرشوة لسفك الدم .

أخـــذت الربا والمرابحة وسلبت أقرباءك بالظلم ونسيتنى يقول السيد الرب .

أنا للرب تكلمت وسأفعل . .

وأبددك بين الأمم وأذريك فى الأراضى وأزيل نجاستك منك .

وتتدنسين بنفسك أمام عيون الأمم وتعلمين أنى أنا الرب )

ويقول المسيح لهم .

( يا أولاد الأفاعى . كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ) .

ثم قال لتلاميذه .

[ إن الـكتبة والفريسيين جالسون على كراسى موسى فمهما قالوا لـكم فاحفظوه واعملوا به ، وأما مثل أعمالهم فلا تعملوا ، لأنهم يقولون ما لا يفعلون . كل أعمالهم رياء أمام الناس ]

لقد قتلوا أنبياءهم ، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ، استكبروا ففريقاً كذبوا ، وفريقاً يقتلون .

إن فى أعناقهم وأيديهم بقع كبيرة من دم « زكريا » ومن دم « يحيى » ومن دماء زاكية لأنبياء وشهداء كثيرين .

واليهود ، وإن تظاهروا بالغيرة على الشريعة ، لا يضعون شبئاً من حقائقها موضع التنفيذ . فالذى يعنيهم من الدين كله ، شىء واحد، هو ملكهم المنتظر ، حيث تجد نزواتهم الجامحة فى السيطرة ، وفى الاقتناء فرصة سعيدة ...

# يحيى بن زكريا

(كهيعص * ذِكْرُ رَحمتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ
زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا *
قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ العَظْمُ مِنى واشْتَعَلَ
الرَّأْسُ شَيْبًا ولَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا *
وإِنِّى خِفْتُ المَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى وكَانَتْ
امْرَأَتِى عَاقِراً فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا *
يَرِثُنِى ويَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ واجْعَلْهُ رَبِّ
رَضِيًّا * يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ
اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) .

[ قرآن كريم ]

— ١ —

فى المحراب . .

شيخ عجوز ، يلوح فى وجهه التقى والصلاح . . سجد فى خشوع ، وأخذ يناجى ربه قائلاً :

— رب ، إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك رب شقياً ، وإنى خفت الموالى من ورائى ، وكانت امرأتى عاقراً ، فهب لى من لدنك ولياً ، يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا .

وأطرق الشيخ خاشعاً ، وفاض النور فى المحراب ، وسمع صوتاً عذباً يقول :

— يازكريا ، إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا .

فرفع زكريا رأسه إلى السماء ، وقال :

— رب أنى يكون لى غلام ، وكانت إمرأتى عاقرا ، وقد بلغت من الكبر عتيا ؟

قال الصوت الرقيق العذب :

— كذلك قال ربك : هو على هين ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا .

— رب اجعل لى آية .

— آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالى سويا .

وخرج زكريا على قومه فى المحراب ، يفيض وجهه بالبشر ، ورمز إلى قومه أن يسبحوا بكرة وعشياً ، فقد استجاب له ربه ، ووهب له يحيى .

— ٢ —

يحيى . . . أو يوحنا . . هذا الرجل المتبتل ، الأشعث ، الأغبر الذى يرتدى ثوباً من الشعر ، ويعيش على عسل النحل ، وعلى الجراد الجاف . . . . إنه عابد أواب ، ليس معه من الدنيا شىء . . . وإنه ليدعو الناس إلى التوبة ، ويعمدهم بماء النهر كى يساعدهم على تطهير قلوبهم ، وإنه أيضاً ليندد فى عنف شديد بالنفاق ، وبالكهنة الذين ( يغسلون أيديهم ، وقلوبهم ملآنة دماً )

ملآنة بالشر وبالحقد وبالأنانية !

وهو شديد الخوف من الله ، ومن عقابه ، وإنه لا ينسى أن هذه الرقعة من الأرض ، التى يعيش فوقها ، قد ازدهرت عليها ذات يوم ( سدوم ) ثم خسف بها ، وبأهلها ، حتى لم يبق منها إلا عبرتها القاسية .

وهو يستعيد ذكريات القرون التى كانت لها على اليهود وطأة

شديدة ، فيبصر وراء كل ضربة محقهم بهـا ، القـدر ، تلالاً من الخطايا ارتـكبوها فأخذت الرجفة صالحهم وطالحهم .

أفيسكت عما يرى من جرائم وسيئات ، أم يصدع بما فى نفسه من حديث مفيد مضىء !

لم يطل تفـكير يوحنا ، فاختار طريقه ، وواجه مسئوليته . .

ووسط حشد من الناس وقف يذيع أولى كلماته :

ـ « توبوا . . . لأنه قد اقترب ملـكوت السموات » .

وإذ كان يأتى إليه الفريسـيون والصدوقيون والـكتبة لـكى يتعمدوا منه كان يشدد فى توبيخهم وتعييرهم أكثر من الجميع .

وعندما كان يرى كثيرين منهم آتين اليه كان يقول لهم :

ـ [ ياأولاد الأفاعى ،

من دلـكم على الهرب من السخط الآتى ؟

أثمروا أثماراً تليق بالتوبة .

ولا يخطر لـكم أن تقولوا فى نفوسكم .

إن أبانا إبراهيم :

لأنى أقول لـكم ، إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم ] .

[ أنتم الذين تختبئون فى بيوت من حجارة ،
كما تختبىء الأفاعى فى ثقوب الأرض وشقوق الصخور ،
إلا أنكم بالحقيقة أيها الفريسيون والصدوقيون لأصلب من الحجارة .
فإن عقولكم متحجرة بحروف الشريعة وطقوسها الرثة البالية ،
وقلوبكم الأنانية أشبه بالصوان منها بقلوب الأنانية ،
لأنكم تعطون الفقير الجائع الملتمس منكم رغيفاً من الخبز .
تعطونه حجراً علامه على صخرية قلوبكم ،
وتحكمون بالرجم على الكثيرين لأنهم لم يجاروكم فى خبثكم وشركم .

الحق أقول لكم ، أيها الفريسيون والصدوقيون ، إنكم تماثيل حجرية ، غليظة ، ضخمة ، ولا يؤثر فيكم سوى النار لأن الماء أسكبه عليكم يجف ويتبخر سريعاً .
ولكن الله الذى جبل آدم من حفنة من تراب الأرض ،
يستطيع أن يقيم من حصى الشواطىء ومن حجارة الطريق ومن صخور الخلجان رجالا أحياء ، وأبناء مختارين لنفسه سواكم .

بلى ، انه قادر أن يحول الصوان الى لحم وروح كما أنكم حولتم اللحم والروح الى حجارة وصوان .

ولذلك لا يكفيكم أن تستحموا فى مياه الأردن .

ان الغسل مقدس وشاف غير أنكم فى حاجة الى أكثر منه .

فجددوا حياتكم ، واصنعوا عكس ما كنتم تصنعون فيما مضى من عمركم .

حتى الآن ، والا فإنكم ستلتهمون بنار ذلك الذى يأتى بعدى لكى يعمد بالنار ] .

وعندما سأله فريق منهم قائلين :

—ماذا نصنع نحن ؟

أجاب :

— من له ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليصنع كذلك .

و ( جاء أيضاً عشارون ليعتمدوا فقالوا له : ماذا نصنع يا معلم ؟ فقال لهم

لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم ) .

ثم سأله الجند قائلين :

— ماذا نصنع نحن أيضاً ؟

— قال لهم : لا تظلموا أحدا ، ولا تفتروا على أحد وأقنعوا بما قسم لكم .

وعندما جاء إليه قوم من أورشليم ليسألوه من أنت ؟ اعترف ولم ينكر وأقر قائلا : لست المسيح .

فسألوه : إذن ماذا ؟ أيليا أنت ؟

فقال : لست إياه .

فقالوا له : وهل أنت ذلك النبي ؟

فأجاب : كلا

فقالوا له : وهل أنت المسيح ؟

فقال : كلا ، بل أنا صوت صارخ فى البرية قوموا طريق الرب كما قال اشعيا النبي .. ولكن بينكم من لستم تعرفونه هو الذى يأتى بعدى وقد كان قبلى، الذى أنا لا استحق أن أحل سيور حذائه .

— ٣ —

جلس فيلبيس ملك أورشليم على عرشه ، وجلست إلى جواره زوجته هيروديا ، وراحت ابنتها سالومى تنظر من النافذة ، ترقب طرقات المدينة العتيقة ..

وكانت هيروديا مياسة القد ، رائعة الحسن ..

وأقبل هيرودس أخو الملك .. وراحا يتجاذبان أطراف الحديث . لكن هيرودس كان يرنو إلى هيروديا فى وله وإعجاب ، ويرمقها فى اشتهاء .. وكانت عيناه الواهتان تتلاقيان وعيتها ، فكانت تحس حرارتهما ، وتفهم لغتهما ، فترف على شفتيها ابتسامة .. رتتألق عيناها ببريق السرور ..

وهام هيرودس بزوجة أخيه حبا ، وبادلته هيروديا ذلك الغرام ، فراحا يتلاقيان ، وملك حبه لها حواسه ، وسيطر عليه ، فلم يطق أن يشاركه فيها شخص آخر ، ففكر ثم دبر ، ثم أسر إلى هيروديا بما عقد عليه العزم . فوافقت على انفاذ ما دبر ، فقد كانت امرأة تهوى المغامرات .

وذات مساء .. انسل أعوان هيرودس إلى القصر ، وقتلوا فيليبس . . وفى الصباح . . أعتلى هيرودس عرش أورشليم وإلى جواره هيروديا .

— ٤ —

علم يحيى أو يوحنا ما فعله هيرودس بأخيه ، فغضب غضباً شديداً ، وأخذ يردد أن هيروديا لا تحل له ، واشتد فى نقد المرأة ، وكان كلما

قابل جمـــاعة من بنى اسرائيل أعلن سخطه على ما اقترف مغتصب الملك والزوجة .

وبلغ هيرودس مايقول يوحنا ، فثار ، بيد أنه لم ينفس عن ثورته فقد خشى أن يمد يده إلى يوحنا بأذى خشية أن يثور الشعب لنبيه .

وحقدت هيروديا على يوحنا ، فراحت تحرض هيرودس على التنـكيل به ، ولـكنه كان يتريث هيبة منه ، وخوفاً من أتباعه .

وأخيراً .. لم يجد مفرا من أن يأمر جنوده بإحضار يوحنا ، فلما مثل بين يديه قال له :

— ألا تـكف عنا ؟

— حتى تـكف عن معصية الله .

— وكيف ؟

— أن تهجر الفاجرة .

فقالت هيروديا فى غضب شديد :

— أقتلوه . . اقتلوه .

وسأل الملك :

— ولماذا أهجرها ؟

— لأنها لاتحل لك .

فصاحت هيروديا فى حنق عظيم :

— أقتلوه .. أقتلوه ..

وقال الملك لحراسه :

— ألقوه فى غيابات السجن .

— ٥ —

أورشليم فى العيد . .

والقصر الملكى يسبح فى النور ..

والملك وهيروديا وكبار رجال الدولة والأعيان يعبون الخمر ويضحكون . .

وبلغ يحيى — أو يوحنا — فى سجنه أن المسيح قد ظهر ، وأنه أحيى الموتى ، وأبرأ الأعمى والأصم والأبرص ، فصاح :

— العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون .

ودوى صوته فى القصر ، فصمت الجميع ، وسأل أحدهم :

— ما هـــذا ؟

فقال هيرودس :

— إنة يوحنا .

— ماذا يقول ؟

— لا أدرى .

فقالت هيروديا فى ضيق شديد :

— إنه يهرف .

وبلغ صوته آذان سالومى ، فامتقع لونها ، وتذكرت كيف أنها راودت يوحنا عن نفسه ، فأبى . .

واقترب منها الملك وقال لها :

— أرقصى يا سالومى .

— لا أشعر برغبة فى الرقص يا مولاى .

فقال لها فى إغراء :

— إذا رقصت لى أعطيتك ما تشائين .

فخطرت لها فكرة ، إنها تستطيع أن تثأر من ذلك الذى جرعها كأس الهوان ، وأنتقد أمها نقدا مريراً ..

فرنت إلى الملك وقالت :

— حقا ؟

— أقسم لك يا سالومى .

ورقصت سالومى فى خفة الطيف، كانت ترقص فى حرارة تتدفق فى عروقها .. وما انتهت من رقصتها حتى هرعت إلى الملك ، وأنحنت أمامه ، فقال لها فى انشراح .

ـــ انهضى يا سالومى لأمنحك ماتطلبين .. ماذا تريدين ؟

ـــ هدية فى طشت من فضة .

فظهرت الدهشة على وجه الملك ، وقال :

ـ هدية فى طشت من فضة ؟ وما هذه ؟

قالت :

ـ رأس يوحنا .

تهلل وجه هيروديا ، وقالت :

ـ أحسنت الاختيار يا أبنتى . إنها خير هدية فى هذا العيد .

فقال الملك فى جزع :

ـ لا .. لا يا سالومى . لا تسأليني ذلك .

قالت سالومى فى إصرار :

ـ أريد رأس يوحنا فى طشت من فضة .

ـ لا .. لا ..

ـ لقد أقسمت .

ـ أقسمت ياسالومى ،ولـكن أتوسل إليك أن تسأليني شيئاً آخر .

ـــ لا أريد إلا رأس يوحنا .

وقالت هيروديا :

ـ لقد أقسمت ، بر بقسمك .

ـ أسكتى . .

فقالت سالومى :

ـ أريد رأس يوحنا ـ وأيدها أصدقاؤها الرهبـان والسادة الوالغون فى الإثم . وانـكمش هيرودس فى عرشه ، ونزل به هم ثقيل ، وقال لجنده فى صوت خفيض :

ـ أعطوها ما طلبت .

وخرج الجند ، وساد القاعة صمت رهيب ، ومر الوقت بطيئاً بطيئاً . . وقد استولى على الجميع رهبة وقلق . ثم عاد الجند يحملون طشتا من فضة به رأس يحيى ـ يوحنا ـ .

وزلزلت الأرض .. وانقضت صاعقة من السماء .. وسقطت سالومى صريعة ..

# المسيح

[ واذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا .

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ]

قرآن كريم

— ١ —

كانت فلسطين ، إحدى مستعمرات الإمبراطورية الرومانية . . يقطنها مليونان ونصف مليون من الناس . يعيش الوثنيون منهم فى

المدن الساحلية . ويتركز اليهود فى المدن الداخلية . ويعانى شعبها ، سيما اليهود نزاعا عنصريا ، واضطرابا سياسيا .

فكان بين أهل يهوذا ، والسامريين ، وبين الصدوقيين ، والفريسيين ، عداوات دائمة الاستعار .. بيد أن عقتهم لروما كان يجمع بين قلوبهم المشتتة . فالاستبداد السياسى شديد ، حتى أنه فى معركة واحدة إبان شباب المسيح ، أى قبل جهره بدعوته قاد « قارس » حاكم سوريا الرومانى حملة تأديبية على بعض مدن فلسطين ، فهدم مئات المدن والقرى ، وصلب ألفين من سكانها ، وباع ثلاثين ألفا فى أسواق العبيد .

والظلم الاقتصادى ينشب أظفاره فى الناس ، فالضرائب فادحة ، وجباتها لحساب الرومان قساة لا يرحمون ، وكهنة اليهود وتجارهم لا يقلون عن الآخرين بغيا وجشعا .

ومن هنا ، داعبت الآمال القوم فى مجىء مسيح مخلص يلغى التجارة ، والملكية الفردية ، ويحقق مساواة كاملة بين الناس!

كان أصحاب هـذا الأمل الحلو ، جماعة تسمى [ الأسينية ] أو [ الآزيون ] وكان أعضاؤها يعملون فى مزرعة جماعية ، غربى البحر

الميت ، ويجمعون محاصيلها ، وكل مكاسبهم فى بيت مال مشترك ، ومحظور على أى منهم أن يمتلك لنفسه بيتا ، أو فراشا .

وكانوا يؤمنون إيمانا عميقا بالسلام وينبذون من صفوفهم كل من يصنع أو يساهم فى صنع شىء من أدوات الحرب !

ولقد حدث لهم ـ كما يقول الكاهن يوسفوس ـ فى تاريخه ، وكما ينقل عنه ديورانت فى قصة الحضارة ـ أن عذبوا ، وحرقوا ، وقطعت أجسامهم ، ليتخلوا عن عقيدتهم وسلوكهم ، بيد أنهم أبوا وجادوا بأرواحهم فى غبطة ورضى .

كان اليهود فى فلسطين ، يمنحون أنفسهم من الأمتياز ما يجعلهم فوق البشر . ويرون أنفسهم ( شعب الله المختار ) ، ويزعمون أن الله قد وعد أباهم « إبراهيم » ملكاً عظيما ، يحكمون هم من خلاله جميع الأرض ، وجميع الشعوب ! ويعيشون فى دائرة مغلقة ، منطوية .

وهم فى أورشليم ، يشكلون « مصرفا » جشعا ، يؤله المال ، ويحتكر الثورة ويلهب الفقراء والمعوزين بسياط الاستغلال ، والربا لا يعرفون عن المقدسات إلا أنها السبيل لحظوظ أكثر من الكسب الحرام .

وقد قتلوا أنبياءهم . وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ، استكبروا ، ففريقا كذبوا ، وفريقا يقتلون .

وإن فى أعناقهم وأيديهم بقع كبيرة من دم ( زكريا ) ومن دم ( يحيى ) أو ( يوحنا ) ومن دماء زاكية لأنبياء وشهداء كثيرين[1] !

ترى .. ماذا سيصنع اليهود بالمسيح ، الذى طالما انتظروه ؟!

— ٢ —

جاء المسيح إلى الدنيا وملء راحتيه زنابق وورود يعطر بها الأجواء .. وكان اسمه الأول الذى أطلق عليه « يهوشع » فى أنجيل لوقا ( فلما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع ) وكلمة يهوشع هذه عبرية ؛ وتتكون من ( يهو ) وهو اسم الله بالعبرية و ( شع ) ومعناها الانقاذ أو المنقذ ، فالأسم إذا معناه ( المنقذ بالله ) .

وعندما بلغ الثانية عشرة ذهب مع أمه مريم ويوسف النجار إلى زيارة المعبد فى أورشليم فى عيد الفصح ( وبقى الصبى عند رجوعهما فى أورشليم ويوسف وأمه لا يعلمان . وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة

(١) خالد محمد خالد : معا ، على الطريق محمد ، والمسيح ص ٣٩ وما بعدها

يوم ، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف . ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه ، فوجداه بعد ثلاثة أيام فى الهيكل جالساً فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم . وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته فلما أبصراه دهشا وقالت له أمه : يابنى . لماذا فعلت بنا هكذا ؟ فقال لها : لماذا كنتما تطلبانى ؟ ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى ؟ فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما . ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة .. وكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس[1] ) .

وممن أثر فى حياة المسيح الروحية النبى يحيى بن زكريا المعروف بيوحنا المعمدان .

وكان المسيح رقيقا فى دعوته وتعاليمه رقة الماء يتساقط على الحجر الصلب فيبريه حتى يذيبه ويكتسحه . وقد تتجمع هذه القطرات فتصير مسيلا يجرى فى هوينى ورفق ، ولكنه يجرف أمامه كل ما يصادفه من حطام بال . بدأ المسيح رسالته معلما يهدى من حوله من متواضعى الناس فى الجليل ، وممن التفوا حوله يودون التلمذة عليه.

كان أكثر المبادىء الثورية التى جاء بها المسيح مبدأ مملكة السماء ، لأنه رأى اليهود كانوا قد احتكروا لأنفسهم الله فجعلوه

(١) انجيل لوقا : الإصحاح الثانى .

إلههم وحدهم ، وجعلوا أنفسهم الشعب المختار ، ولا يعترف بأخوة غير اليهود . فجاء هذا المعلم العظيم يهـــدم أول ركن من أركان اليهودية وينادى بإله مشترك لجميع البشر ، وأنه ليس هناك شعب مختار ، وأن لاحظوة فى مملكة السماء ، وأن الله هو الأب المحب لكل الأحياء يشملهم كلهم برعايته على السواء . وأن كل الرجال أخوة ، وأنهم مخطئون على السواء وأبناء محبوبون من الوالد المقدس على السواء .

كانت إذا فكرة أبوة الله للجميع فكرة عالمية تهدف إلى الغاء ذلك الامتياز السخيف الذى قسم بنى البشر قسمين إلى ارستقراط وسوقة .. ولم يقتصر هذا الثائر الكريم على تحدى وطنية اليهود القبلية ، بل كان يبغى أن يكتسح هذه العواطف الضيقة طوفان جارف من حب الله[1] . فكان لابد لمملكة السماء بأسرها من أن تكون عائلة واحدة .

ولم يكن هذا المبدأ موجهاً ضد اليهود فحسب ولكنه موجه إلى النظام الذى كان سائداً فى عصره ، نظام السادة والأرقاء ، والأباطرة المؤلهين ، وطبقات الحكام والمحكومين . وكان بهذا المبدأ يرمى

(١) الدكتور عبد العزيز عبد المجيد : المسيح ، ص ١٤٥ .

إلى الإخاء بين جميع الناس وأن لا فضل لأحد على آخر إلا بالعمل الصالح .

ومن المبادئ الثورية التى جاء بها المسيح مقاومته الرياء والنفاق والاتجار باسم الدين .

وكان من تحديه لأولئك الذين يتمسكون بشكليات الدين ما ذكره لتلاميذه :

قيل للقدماء لا تقتل ، ومن يقتل وجب عليه العقاب . أما أنا فأقول لكم : إن من يغضب على أخيه باطلا يأثم ويخزى . . فإن قدمت قربانك وذكرت حقا لأخيك فدع قربانك أمام المذبح وأذهب فصالح أخاك .

وقيل للقدماء لا تزن . أما أنا فأقول لكم : إن من ينظر إلى امرأة فيشتهيها فقد زنى بها فى قلبه . فإن كانت عينك اليمنى تلقى بك فى العثرات فاقلعها والقها عنك ، فخير لك أن يهلك عضو لك من أن تهلك كلك ..

وقيل للقدماء لا تحنث . . وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا . . وليكن كلامكم كله نعم نعم . لا . لا .. وما زاد على ذلك فهو من الشيطان ..

وسمعتم أنه قيل عين بعين . وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم :

لا تقابلوا الشر بالشر . ومن لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر ... ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه ميلين .

وسمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم :

أحبوا أعداءكم..وأحسنوا إلى مبغضيكم ، وادعوا إلى من يسيء إليكم ويطردكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات . فإنه تطلع شمسه على الأشرار والصالحين، ويرسل غيثه للأبرار والظالمين. وأى أجر لكم إن أحببتم من يحبونكم . أليس العشارون يفعلون ذلك ؟ أو أى فضل تصنعون إن خصصتم إخوتكم بالسلام ؟ أليس العشارون يفعلون ذلك ؟ فتعلقوا أنتم بالكمال فان الله كامل .. يحب الكمال ) .

ولم تكن ثورة المسيح مقصورة على الاحتكار الدينى الذى خص بنو اسرائيل أنفسهم به ، ولكنها كانت أيضاً ضد النظام الاقتصادى الشره الذى نتج عنه التكالب المادى والربا والتنافس على جمع المال بأى طريق وفى أى مكان حتى فى الهيكل المقدس نفسه .

( وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له ، وسأله :

أيها المعلم الصالح . ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحداً وهو الله . أنت تعرف الوصايا . لاتزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد الزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك . فأجاب وقال له : يامعلم هذه كلها حفظتها منذ حداثتي ، فنظر إليه يسوع وأحبه ، وقال له : يعوزك شيء واحد . إذهب بع كل مالك ، وأعطه الفقراء ، فيكون لك كنز في السماء ، وتعال اتبعني حاملا الصليب . فاغتم على القول ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة ، فنظر يسوع حوله ،وقال لتلاميذه : ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله ! فتحير التلاميذ من كلامه . فأجاب يسوع أيضاً ، قال لهم : يا بني . ما أعسر المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله . مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله [1] ) .

وقد لقيت دعوة المسيح من الفقراء والمحرومين والمضطهدين آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية ، فتبعوه وأخلصوا له . أما المنافقون من رجال الدين ، والأغنياء ، والحكام فخافوا على سلطانهم وأموالهم من أن تزول ، ولذلك قاوموه واتهموه بأنه يدعو إلى مملكة جديدة غير

(١) إنجيل مرقس : ١٧ : ٢٥ .

مملكة قيصر ، وصوروه للحاكم الرومانى بيلاطس بأنه خائن خيانة عظمى . . .

— ٣ —

وجاء دور المحاكمة . . .

أخذ رؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ ومعهم يهوذا الأسخريوطى المسيح وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة . ثم قام جمهورهم — جمهور القادة — وجاءوا به إلى الحاكم الرومانى بيلاطس ( وابتدءوا يشتكون عليه قائلين إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن نعطى جزية لقيصر) ثم أرسله بيلاطس إلى هيرودس لما علم أنه جليلى ورده هيرودس إلى بيلاطس ثانية .

وهنا ينتهى دور الكهنة وقواد الجند والشيوخ ليأتى دور الشعب . . .

يقول الإنجيل فى ذلك :

( فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب ، وقال لهم قد قدمتم إلى هذا الإنسان كمن يفسد الشعب ، وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه . ولا هيرودس

أيضاً . لأنى أرسلتكم إليه . وها لاشىء يستحق الموت صنع منه . أؤدبه وأطلقه .

وكان مضطراً أن يطلق كل عيد واحداً فصرخوا بجملتهم قائلين خذ هذا وأطلق لنا باراباس . وذاك كان قد طرح فى السجن لأجل فتنة حدثت فى المدينة وقتل . فناداهم أيضاً بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع . فصرخوا قائلين أصلبه . أصلبه . فقال لهم ثالثة فأى شر عمل هذا . إنى لم أجد فيه علة للموت ، فأنا أؤدبه وأطلقه فكانوا يلحون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب ،فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم . فأطلق لهم الذى طرح فى السجن لأجل فتنة وقتل الذى طلبوه. وأسلم يسوع لمشيئتهم (١) .

وتأكيدا لدور الشعب فى مسئولية صلب المسيح جاء فى الانجيل بعد عملية الصلب .

( وكان الشعب واقفين ينظرون والرؤساء أيضا معهم يسخرون منه قائلين خلص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله ) .

هذا الكلام المقتبس من الكتاب المقدس كلام واضح ولا يحتاج إلى كبير عناء ليفهم منه القارىء حقيقة ما جرى . صحيح أن رؤساء

---

(١) لوقا : ٢٣ : ١٣ ـ ٢٦ .

الشعب والكهنة وقواد الجند هم الذين تآمروا وهم الذين ساقوه إلى بيلاطس . ولكن بيلاطس قبل أن ينزل عند مشيئة رؤساء الكهنة وقواد الجند ووجوه الشعب دعا عامة الشعب ليستفتيهم فى أمر المتهم البرئ فأفتوا كلهم بإدانته وموته وعلت أصواتهم وقويت حتى لقد يفهم أن بيلاطس خشى إن هو لم يرضخ لمشيئتهم أن يصيبوه هو نفسه بالأذى .

يقول المسيح :

—( ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبورا تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما .

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين . وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملئوا أنتم مكيال آبائكم .

أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم . كذلك

ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة . لكى يأتى عليكم كل دم ذكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم إن هذا كله يأتى على هذا الجيل[1] » .

— ( فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا : إنى برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس ، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب[2] ) .

* * *

وقد لقى الحواريون أنصار المسيح من اليهود شراً ونكرا ، وقد أشار القديس بولس أحد الحواريين فى بعض رسائله إلى موقف اليهود منه ومن المسيحيين فقال فى رسالته إلى رومية عن اليهود كما جاء فى

---

(١) متى ٢٣ : ٢٧ ـ ٣٧.
(٢) متى ٢٧ : ٢٤ ـ ٢٦.

الإصحاح الثالث أنهم لم يعرفوا سبيل السلام ( وليست مخافة الله أمام أعينهم ) هل الله لليهود فقط ؟ أليس هو للأمم أيضاً .

وفى الإصحاح الحادى عشر يقول ( جلدنى اليهود خمس مرات وضربت بالعصا ثلاث مرات ورجمت مرة وانكسرت بى السفينة ثلاث مرات وقضيت ليلا ونهاراً فى عمق البحر )

* * *

وعلى مدى التاريخ ، لقى أتباع المسيح من اليهود الاضطهاد والعسف ، والأمثلة على ذلك كثيرة لا تعد ولا تحصى ، نذكر منها هذه الشواهد :

فى نجران كبرى الحواضر فى الجزيرة العربية ... لقى النصارى من اليهود العذاب الغليظ ... وتفصيل ذلك :أن أهالى نجران عرب كانوا فى قديم الجاهلية أهل شرك يعبدون الأوثان ، حتى وفد على ديارهم راهب نصرانى صالح ، أقام له خيمة بضواحى نجران، وعكف على عبادة الله العلى القدير . فمال إليه فتى عربى من أبناء نجران اسمه ( عبد الله بن الثامر ) كان أبوه يرسله إلى ساحر مشهور هناك ليلقنه أسرار السحر ، فكلما مر بخيمة الراهب فى طريقه إلى الساحر ، أطال

الوقوف ببابه ، يصغى إلى تراتيله وصلواته ، ويرنو إليه فى تبتله وعبادته ..

وعلى يد ( ابن الثامر ) تنصر أكثر عرب نجران ، فسار إليهم ( ذو نواس ) بجنوده بتحريض من يهود اليمن ، ودعاهم إلى اعتناق اليهودية ، وخيرهم بينها وبين القتل ، فاختاروا القتل ، فحفر لهم أخدوداً أوقد فيه النار ، وسيق ألوف من النصارى فأحـــرقوا فى الأخدود ، وقتل ألوف آخرون ضرباً بالسيف .

وظلت مأساة الضحايا الشهداء ـ وفى الخبر أنهم قاربوا عشرين ألفاً ـ تؤرق الجزيرة حتى أوان البعثة المحمدية ، وقد كان نصارى نجران بشهادة مؤرخى الإسلام أهل فضل واســتقامة ، وقد صور القرآن الكريم هذه الحادثة أروع تصوير فى هذه الآيات[1] :

( والسماء ذات البروج . واليوم الموعود . وشاهد ومشهود . قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ) .

* * *

(١) سورة البروج

وقد روى التاريخ أنه فى ٢٤ يونيو سنة ١٢٤٠ عقدت جلسة حافلة فى قصر الملك لويس التاسع بباريس تحت رياسة الملكة بلانش وكان القصد منها التحقيق فيما نسب إلى اليهود من الأمور المنكرة ومن جملتها استنزاف الدم البشرى تنفيذاً لاعتقاداتهم وعلى ما جاء فى تلمودهم . وقد أعطيت الحرية المطلقة لبنى إسرائيل فى الدفاع عن أنفسهم وعن تلمودهم ولما لم يتمكنوا من إخفاء حقيقة ما نسب إليهم أقروا به وقد عرف وقتئذ من ترجمة نصوص تلمودهم خلاصة ما يعتقدون به :

( إن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار ، وأن أمه مريم أتت به من العسكرى بانذارا بمباشرة الزنا ، وأن الكنائس النصرانية هى قاذورات وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة وأن قتل المسيحى من التعاليم المأمور بها ، وأن العهد مع مسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهود القيام به ، وأنه من الواجب ديناً أن يلعن اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبنى إسرائيل ) .

وجاء فى كتاب « سدر حادوروت » أن الحاخامات تسببوا فى قتل عدد كبير من المسيحيين بروما .

ومن الأمور المتفق عليها اتهام الأمبراطور « أنطونين ليبو » ببغض المسيحيين وقد إعترض العالم « هافز » على الأمر الذى أصدره الأمبراطور فى سنة ١٧٨١ لمنفعة المسيحيين ، على أنه إذا كان ذلك الأمر حقيقياً وصدر من أجل حماية المسيحيين من فتك الشعب بهم فى بعض المدن كما ادعى بذلك المؤرخ « أزيب » فى كتابه فإن ذلك لا ينفى ما ذكر فى كتاب « سدر حادوروت » وهو ( أن الحاخام الربانى يهوذا كان محبوباً من الأمبراطور ، وقد أطلعه على حيل النصارى قائلا له : إنهم سبب انتشار الأمراض المعدية ، وبناء على ذلك أصدر الامبراطور أمراً بقتل كل النصارى الذين كانوا يسكنون روما فى سنة ٩١٥[1] .

وجاء فى الكتاب أيضاً أن الأمبراطور « مارك أوريل » قتل جميع النصارى بناء على إيعاز من اليهود ، وقال إنه فى سنة ٣٩٧٤ قتل اليهود ٢٠٠,٠٠٠ مسيحى فى روما كما قتل كل نصارى قبرص .

وذكر فى كتاب « سفر بركاسين » المطبوع بمدينة استردام سنة ١٧١٧ م .

---

(١) ص ١٢٥

(إنه فى زمن البابا « كليمان » قتل اليهود فى روما وخارجها مجموعة من النصارى « كرمال البحر » ، وأنه بناء على رغبة اليهود قتل الأمبراطور « ويوكليسين » عدداً كبيراً من المسيحيين ومن بينهم الباباوات « كاييس ومرسلينوس » ).

# إسرائيل الجسد . . . وإسرائيل الله

« لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ،
ولا لأنهم من نسل إبراهيم جميعاً أولاد »

[ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ]

## — ١ —

يرى البعض أن المسيحية وجدت جذورها فى الدين اليهودى ، ولكننا نرفض التلاحم الذى يريد هـذا البعض أن يعطيه صفة المشروعية بين الدينين المسيحى واليهودى ذلك أن عبادة الله الواحد العلى القدير كانت معروفة لدى سكان أرض كنعان ( فلسطين ) قبل ظهور إبراهيم[1] ، وأن طقوس عبادة راقيـة ، لا تقيم ذبائح دموية كانت قائمة فى أورشليم قبل مجىء ابراهيم إليها ، وأن القداسة القديمة المستمرة لأورشليم قبل ظهور اليهود على مسرح التاريخ هى التى دفعت داود النبى ـ الملك إلى احتلالها وجعلها عاصمة لدولة اليهود ، وأن الله عندما تكلم بفم هذا النبى لإعلان مجىء المخلص عند ملء الزمن ، حمله على التنبؤ بأن هذا المخلص سيكون كهنوته وطقوسه على رتبة وغرر كهنوت وطقوس إلهية كانت قائمة فى أورشليم قبل عهد إبراهيم.

---

(١) أنيس فاخورى : بحث « المسيحية ثورة على اليهودية » ملحق صحيفة النهار اللبنانية عدد ١٩٦٤/١٢/٦ .

وأن رسول المخلص الأكبر ، القديس بولس ، اليهودى الأصل ، أعلن الملأ أجمع أن الكهنوت الموسوى وناموسه ناقصان وموضوعان حسب ترتيب جسدى أما كهنوت المسيح فموضوع حسب قوة حياة لا تزول على مستوى رتبة كانت قائمة فى أورشليم قبل عهد إبراهيم ، وأن المسيح وضع على اليهود وزر كل دم سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلوه بين الهيكل والمذبح .

وأن الله بعد أن أفسح المجال لليهود ليكونوا شعبه الخاص ( ولكنهم فشلوا فى أن يكونوا ذلك الشعب الخاص ) عاد فلعنهم ورذلهم وأخرجهم من الأرض الطيبة ، أرض كنعان أى فلسطين ، واتخذ لنفسه شعباً جديداً منفتحا على العالم ، منتقى من جميع شعوب العالم ، ولا يزال هذا الشعب يتزايد يوما بعد يوم فى جميع أنحاء العالم .

يقول بولس الرسول فى الرسالة إلى العبرانيين الإصحاح السابع والعدد الحادى عشر :

[ فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال .. ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق ولا يقال على رتبة

هارون ) ثم يستطرد فى الإصحاح الثامن والعـدد السادس :

( ولـكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضـل ، فانه لو كان ذلك الأول ــ « أى كهنوت وناموس موسى » ــ بلا عيب لما طلب موضع ثان ) .

ألا يرى القارىء العزيز من هذه النصوص أن لا إمكان لحصول انبثاق للمسيحية من اليهودية ، بل هناك حتمية قيام شىء جديد آخر لا يمت إلى اليهودية بصلة لأن ناموسها وكهنوتها ناقصان .

إن المسيح لم يأت لينقض الناموس ، بل جاء ليكمل ..

وأهم مافى رسالة المسيح هو تقليله من شأن الجسد ورفعه للقيم الروحية لدى الإنسان المؤمن .

قال اليهود للمسيح : ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم الذى مات؟ فأجاب :

ــ [ أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح . فقال اليهود : ليس لك خمسون سنة بعد ، أفرأيت إبراهيم ؟ . قال لهم يسوع الحق الحق أقول لـكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن [1] ] .

(١) يوحنا ٨ : ٥٦ ــ ٥٩ .

ـ ( وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه . فسألهم قائلا : من تقول الجموع انى أنا ؟ فأجابوا وقالوا : يوحنا المعمدان. وآخرون ايليا . وآخرون إن نبياً من القدماء قام . فقال لهم: وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال : مسيح الله . فانتهرهم وأوصى ألا يقولوا ذلك لأحد[1] ).

ـ ( وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له: طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما . أما هو فقال : بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه [2] )

ـ ( وقال لهم كيف يقولون إن المسيح ابن داود . وداود نفسه يقول فى كتابه المزامير قال الرب لربى اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فاذا داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه [3] )

ـ ( وأما هو فاذا أراد أن يبرر نفسه قال ليسوع : ومن هو قريبى؟ فأجاب يسوع وقال : إنسان كان نازلا من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حى وميت . فعرض

---

(١) لوقا ٩ : ١٨ ـ ٢١ .

(٢) لوقا ١١ : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) لوقا ٢٠ : ٤١ ـ ٤٤.

أن كاهنا نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابله . وكذلك لاوى أيضاً إذا صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامريا مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق وإعتنى به .وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاها لصاحب الفندق وقال له إعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك . فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص . فقال الذى صنع معه الرحمة . فقال له يسوع : إذهب أنت أيضا واصنع هكذا [1] ) .

ـ على لسان يوحنا ( فلما رأى كثيرين من الفريسيين يأتون إلى معموديته قال لهم : ياأولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى . فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة . ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً . لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم . والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار [2] ) .

هذه الآيات من الكتاب المقدس . . . هل تعنى أولا تعنى أن المسيح يهودى وأن المسيحيين بمعنى من المعانى يهود .

---

(١) لوقا ١٠ : ٢٩ ـ ٣٧ .

(٢) متى ٣ : ٧ ـ ١٠ .

قال المسيح : لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض ، بل لأكمل[1] .

— ٢ —

كانت رسالة المسيح ثورة من أجل إعلاء كلمة الحق .. والعدل والمساواة بين الناس ..

يقول المسيح : ( جئت لألقى ناراً على الأرض . فماذا أريد لو اضطرمت . ولى صبغة أصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل .. أتظنون أنى جئت لأعطى سلاماً على الأرض . كلا أقول لكم . بل انقساما ، لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة . ينقسم الأب على الإبن والإبن على الأب والأم على البنت والبنت على الأم . والحماة على كنتها والكنة على حماتها[2] ) .

ـ ( لأنه ما من شجرة جيدة تثمر ثمراً ردياً ، ولا شجرة ردية تثمر ثمراً جيداً . لأن كل شجرة تعرف من ثمرها . فإنهم لا يجتنون من الشوك تيناً ولا يقطفون من العليق عنباً ) .

وقاد المسيح ثورة هائلة على عبادة المال ..

---

(١) متى ٥ : ١٧

(٢) لوقا ١٢ : ٤٩ ـ ٥٣

يقول المسيح :

ـ ( لا يقدر خادم أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال[1] ) .

ـ ( ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل . وقد قلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام وقال لهم : مكتوب بيتى بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص[2] ) .

ـ ( ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء . ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم[3] ) .

وقال لتلاميذه :

ـ ( من أجل هذا أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس[4] ) .

إن هذه المبادىء السامية التى كان المسيح يدعو إليها ، كانت السبب فى حنق اليهود عليه ، وتكذيبهم له ، وتآمرهم عليه .

(١) لوقا ١٦ : ١٣
(٢) متى ٢١ : ١٢ ـ ١٤
(٣) متى ٢٣ : ١٦
(٤) لوقا ١٢ : ٢٢ ـ ٢٣

## — ٣ —

يزعم اليهود أنهم شعب الله المختار ، ولـكن هذه الخرافة تحطمت وذهبت بدداً ..

ورد فى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية :

( فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم ولنسله أن يكون وارثاً للعالم . بل ببر الإيمان لأنه إن كان الذين فى الناموس هم ورثة : فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد[١] ) .

( إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس أم الله لليهود فقط . أليس للأمم أيضاً . بلى للأمم أيضاً[٢] ) .

إن اليهود اليوم يفضلون الأنبياء الجدد وايزمان وهرزل وأبا هيلل سيلفر على أنبياء التوراة .

ولم تخف أرملة حاييم وايزمان هذا التفضيل عندما قالت :

( إن موسى قد احتاج إلى أربعين سنة ليصل ببنى إسرائيل إلى أرض الميعاد ، أما حاييم وايزمان فلم يحتج إلى أكثر من ثلاثين سنة ليفعل ذلك[٣] ) .

---

(١) رومية ٤ : ١٣ ـ ١٥ .
(٢) رومية ٣ : ٢٨ ـ ٣٠
(٣) راديو لندن ١٩٦٣/١٢/٢٤

وردفى رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية :

ـ (لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة . فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة وعلى إسرائيل الله[1] ) .

ـ ( أنظروا إلى إسرائيل حسب الجسد . أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح ) .

( رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس ١٠ ـ ١٨ ) .

ـ ( لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد ) .

( رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٩ : ٦ ) .

ـ (إذا قد كان الناموس مؤدينا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان . ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب . لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع . لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح . ليس يهودى . ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع . فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة ) .

---

(١) ٦ : ١٥ ـ ١٧

( رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٣ : ٢٦ — نهاية الإصحاح ) .

إن اليهودى ملزم باتباع ما جاء فى حرفية الناموس الذى جاء به موسى عليه السلام .. ملزم بالانقطاع عن العمل يوم السبت . ولكن المسيح عمل يوم السبت .

واليهودى ملزم بالاختتان ، والمسيح لم يحسب لذلك كبير وزن . واليهود قد احتكروا عبادة الله وقفاً عليهم دون الأمم . والمسيح دعا الناس جميعاً إلى عبادة الله الواحد القهار . اليهودى تعلم أن يجمع المال ويكنزه ، ويتعامل بالربا الفاحش واعتبر ذلك من مقومات الدين . وجاء المسيح ثائراً على المادة ، بكل صورها .

تحدث المسيح عن الخبز الإلهى الذى يشبع وعن الماء الإلهى الذى يروى واستنكر الفريسيون والكتبة هذا الاتجاه الجديد الذى كاد أن يقضى على نفوذهم وسيطرتهم على جماهير الشعب الكادحة .

تمسك اليهود بقرابة الجسد وبالاختيار ورفض المسيح هذه القرابة ، وأعلن أن التراحم هو عنوان القرابة ، وأن التقوى هى سبيل الاختيار عند الخالق سبحانه وتعالى .

لنسأل يهود اليوم : أيقبلون اليهودى الذى ينادى بإهمال السبت

والختان وفطير الفصح أم يقيمون حرباً عليه حتى يحطموه أو يعود إلى حرفية الناموس .. إلا أن يكون متحرفا لخدمة اليهود بالإنتساب إلى دين آخر .

لنسأل يهود اليوم : هل يعتبرون المسيح[1] يهودياً صالحاً . . إن أهون مايوصف به المسيح عند اليهود هو أنه يهودى مرتد . وهو الذى بعث ليقضى على الفساد والظلم والاستغلال وليقيم السلام القائم على العدل على الأرض .

لقد رفض المسيح إسرائيل الجسد وقبل إسرائيل الله وأكد ألا يعود إلى هذه الأرض مادام فيها أحفاد أولئك الذين اضطهدوه وكذبوه وأقاموا له الصليب .

إن هناك ثمة سؤال يدور فى الأذهان . . هل إسرائيل اليوم هى إسرائيل الله ؟ وإن كانت كذلك فما هو معنى المسيحية إذن ؟

إن إسرائيل الحديثة خلفاً لإسرائيل التاريخية . . وإسرائيل التاريخية التى عرفناها من خلال التوراة والإنجيل هى إسرائيل المتكبرة قاتلة الأنبياء وبانية قبورهم .. هى إسرائيل التى جعلت من الهيكل المقدس مغارة لصوص ، وجعلت من الأمم عبيداً مسخرين

(١) محمود نعناعة : الصهيونية فى السنينات : ص ٧٦ وما بعدها .

لخدمة اليهود . وجعلت من جماهير اليهود أقنانا يشهر فوق رؤوسهم فى كل وقت سيف الناموس وسلطان إقطاع الكهنة والكتبة والشيوخ ..

هذه هى إسرائيل التاريخية .. إسرائيل الجسد ، التى جاء المسيح يستبدل بها إسرائيل الله .

— ٤ —

فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٠٤ تم لقاء بين البابا بيوس العاشر وتيودور هرزل[١] وخلال المقابلة أوضح البابا موقف الفاتيكان من اليهود بشأن اقتراح هرزل منح الأراضى المقدسة وضعاً إقليمياً خاصاً تمهيداً لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

قال البابا بيوس العاشر :

ـ هناك احتمالان : إما أن يظل اليهود متحفظين بمعتقداتهم ينتظرون مجىء المسيح .. والمسيح عندنا قد جاء وتمت بعثته للبشر . وفى هذه الحالة نعتبر اليهود منكرين للاهوت يسوع المسيح . ولا

(١) كان هرزل محامياً وكاتباً وصحفياً ، من أصل نمساوى عاش فى باريس وقد ولد عام ١٨٦٥ وتوفى عام ١٩٠٤ .

وتذكر الحركة الصهيونية مقرونة باسم هرزل باعتباره منشئاً للصهيونية ذلك أن هرزل كان أول من أثار بين اليهود ضجة كبيرة حول هذه الفكرة .

مجال هنا لمساعدتهم فى فلسطين .. هذا هو الوجه الأول . . والآخر أن يذهبوا إلى فلسطين شعباً بلا دين بالمرة . . وفى هـذه الحالة نجد أنفسنا فى مجال أضيق وغير مستعدين لمؤازرتهم .

ومعلوم أن الدين اليهودى هو أساس ديننا ، ولـكن الدين اليهودى قد جاءت عليه تعاليم المسيح وحلت محله .

ولهذه العلة فليس من الممكن أن نقدم اليوم لليهود من المساعدة أكثر مما فعلنا من قبل . والذين أنـكروا المسيح من اليهود ولم يعترفوا به . مازالوا على هذا الإنـكار حتى اليوم .

وهنا أجاب هرزل : إن النـكبات والاضطهادات لم تـكن فى إعتقادى خير وسيلة لإقناع قومى بما يكرهون .

وهذه العبارة استفزت قداسة البابا فحمى دفاعه عن وجهة نظره وقال لهرزل :

ـــ إن سيدنا يسوع المسيح أتى إلى هـذا العالم ولا قوة له ولا سلاح فقد جاء فقيراً من حطام الدنيا وهو لم يضطهد أحداً وإنما هو الذى تعرض للاضطهاد وتخلى عنه الناس . وسلطانه على الأرض لم يظهر إلا بعد انقضاء رسالته . ولم يقم للـكنيسة كيان إلا بعد مضى مايقرب من ثلاثمائة عام على تأسيسها . وقد كان يوسع اليهود خلال

تلك الفترة أن يقبلوا رسالة المسيح . فلم يقبلوها ورفضوها . وما زالوا يرفضونها حتى هذه الساعة .

وقد دوّن هرزل فى مذكراته هذه المقابلة وأخذ يؤول السبب الذى حمل البابا فى نظره على اتخاذ موقفه .

فقال إن البابا بيوس العاشر امتعض منى لأنى لم أقبل يده عند اللقاء . ولو كنت قبلتها كما فعل كونت لباى ( الذى رتب للمقابلة ) لما كان قداسته ذهب المذهب الذى صدر عنه[1] .

وهكذا يفسر اليهود المبادىء ويعطونها قيمها وأوزانها .

اعتبر هرزل نبى الصهيونية أن قبلة تطبعها شفتاه على يد البابا كانت رشوة كافية لكى يغير قداسة البابا آراءه ومبادئه التى قضى حياته فى التحصيل والعبادة ليكوّنها ولتؤهله لاعتلاء عرش بطرس الرسول .

إن الصهيونية لا تعترف بدين إلا (بالموسوية) . والدين اليهودى ( دين تشبيهى ) ولأجل التوسع فى تفسير ذلك نقول :

إن اليهود ينقسمون إلى شعبتين ( الغاريويين ) وهؤلاء يعتنقون

---

(١) من كتاب كريستوفرسايكس : دراستان فى الفضيلة ـ عن كتاب الصهيونية فى الستينات . ص ٨٤ وما بعدها .

المذهب الإسرائيلى القائم على الظواهر . و ( الكباليين ) وهم طبقة المتصوفين من حاخامين وسواهم ممن أدخلوا السحر والتنجيم وكل أسطورة غريبة على كتب العبادة التى وضعوا أركانها .

فالأولون لايقام لهم وزن ، فهم كالأنعام يسيرون وراء الرعاة . وهؤلاء الرعاة هم زمرة المتصوفين الذين يحتكرون التوجيهات الدينية، يرسمونها للدهماء وفقاً لمصالحهم المادية الخاصة .

أما الكباليون ، فيتنكرون لكل ما هو روحى ومعنوى فى الحياة : ومذهبهم يجارى مبادىء الماديين والقوميين الأنانيين بمعنى أن الثواب والعقاب والسعادة والمحبة والفضيلة عند هذه الطغمة ليست إلا مصالح مادية . وأن الشخص الذى يطيع أوامر الله لايفتقر ولايقع فى ضيق أو عوز ولا يمرض وتكثر ذريته ويعمر طويلا ، أما الذى يعصى الله فإنه يقع فى مصائب كثيرة . وعقيدتهم عن الحياة الآخرة أن الإنسان سوف يلاقيها بروحه فقط ، وأن هذه الروح سوف تكون فى حالة تتراوح بين النوم واليقظة لا فرق فى ذلك بين العاصى والمؤمن .

ومن جملة معتقداتهم أن الله فضل بنى إسرائيل على كافة الخلق وهو سريع الغضب على من عصاه ينتقم منه ومن ذريته دون تسامح. ولذا فإن الإسرائيليين يخشونه ويتملقونه بشتى الترضيات الصوفية

النفعية أى أنهم ينصرفون إلى عبادته بإيمان هو مجرد استسلام ، ولهذا نجد أن نوع العبادة لدى هذه الفرقة تشبيهية مع مصالحهم الخاصة أى أنها عبادة استنتاجية مادية تتحرى وجود النفع للمخلوق وتفرض أن الخالق يتمشى على أهواء مخلوقاته فلا تنزيه ولا توحيد لألوهيته . دأب أنبياء إسرائيل على أن يلقوا فى مسامع أتباعهم أن الله اصطفى الشعب العبرى ـ اليهودى ـ ليكون ( شعبه ) وأنه يقوم برعايته وإرشاده والسهر على مصالحه بعطف لامثيل له ، وأن الشعوب الأخرى لم تحظ بشىء من هذا قط ، وبدلاً من أن تعمل هذه الفكرة على تمسك اليهود بتعاليم موسى عليه السلام الحقيقية فقد ملأتهم غروراً بأنفسهم وإحساساً باستعلائهم العنصرى وتفوقهم على كل الشعوب والأجناس والقبائل .

وراح الكثيرون منهم يظنون أن اختيار الله إياهم لهذه الرسالة ليس إلا جزءاً عادلاً على فضائل السمو والتفوق الطبيعية التى امتاز بها جنسهم . واعتقدوا أن العهد الذى قالت الكتب المقدسة أنه تم بينهم وبين يهوه آلههم ليس إلا محالفة بين ندين متساويين تضمن لليهود [ التسلط المادى على جميع بنى البشر فى مقابل التفافهم حول [ يهوه ] وإيمانهم به كما امتلأت نفوسهم بغضاً واحتقاراً لشعوب

الأرض كلها وبعد أن كانوا يرون أنهم [شعب الله] أصبحوا يؤمنون أنهم [ الشعب الإله[1] ] .

— ٥ —

انقرضت أسباط بنى إسرائيل جميعاً إلا بقايا من سبط يهوذا ، ظلت تحت الحكم الاستعمارى الذى احتل فلسطين ، وقد حاولت هذه الفلول المتناثرة أن تتجمع وتتوحد بيد أنها فشلت إذ تنبهت جميع الدول لخطرها من ناحية ومن ناحية أخرى أن وعد الله حق حيث أنزل القسوة فى قلوب ملوك تلك الدول ليكونوا أداة لتنفيذ الأحكام الإلهية .

[ لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل هأنذا أجعل وجهى عليكم للشر ولأقرض كل يهوذا وآخذ بقية يهوذا فيفنون كلهم[2] ] .

وعندما تقع الأمم والشعوب تحت سيطرة الاستعمار ، وقسوة الملوك تولد فيهم الرغبة للتعاون والتكتل والتآزر ، غير أن اليهود كانوا على خلاف ذلك ، فمنهم من تزلف إلى الملوك بالتقرب إلى آلهتهم، ومنهم من استغل احتياجات إخوانه وبنى جلدته ، وبذلك تفشى بينهم

(١) القصاص : الإسرائيليون وروح العدوان ص ٨٦ .
(٢) أرميا ٤٤ : ١١ ـ ١٢ .

الاستغلال البشع ، والربا الفاحش وضاعت الفضائل بين تلك الفئة الضالة ، ممـا كان له أثره فى هزيمتهم وتشتيتهم فى الأرض ، وذلهم وخضوعهم للحكام والرؤساء من البـلاد المجـاورة وبلغ بهم الضعف والوهن الذى لا يمكن وصفه بأبلغ من قول نحميا :

[ ولمـا سمع سنبلط أنا آخذون فى بناء السور ، غضب واغتاظ كثيراً وهزأ باليهود وتكلم أمام إخوته وجيش السامرة، وقال : ماذا يعمل اليهود الضعفاء ،هل نتركهم يذبحون ، وهل يكملون فى يوم . هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهى محرقة ، وكان طوبيا العمونى بجانبـه ، فقـال إن ما يبنونه إذا صعـد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم[1] ] .

قام سنبلط القائد الـكنعانى وطوبيا قائد جيش العمونيين ، وجشم قائد العرب وحور قائد الأشدوديين وغيرهم من قواد القبائل ورؤسائهم على أسوار مدينة أورشليم وهدموها وأحرقوا محتوياتها .

وكان عـدد سكان أورشليم يومئذ الذين يدعون النسب إلى يهوذا لا يتعدى المائتين والخمسين حيث تشتت أكثرهم فى أنحاء البلاد المجاورة تحت ضغط الإرهاب ، وذلك ما جاء فى سفر نحميا[2] .

(١) نحميا ٤ : ١ ـ ٣
(٢) نحميا ٦ : ١٧ .

ويتضح من ذلك أن اليهود أضحوا بعيدين كل البعد عن النسب إلى إسرائيل ، إذ أصبحوا خليطاً من سبي وسلالة الشعوب سواء كان ذلك نتيجة الاختلاط الجنسي الذى أصبح تقليداً شائعاً وعرفاً سائداً بين اليهود ، أو دخول القبائل العربية فى الدين اليهودى . وذلك ما لم يستطع مؤرخو اليهود أنفسهم أن ينكروه .

ذكر نحميا هذه الحالة فى أحد أسفاره فقال :

( فى تلك الأيام رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى ، بل بلسان شعب وشعب ثم قال : أليس من أجل هؤلاء : أخطأ سليمان ملك إسرائيل ولم يكن فى الأمم الكثيرة ملك مثله ، وكان محبوباً إلى إلهه ، فجعله الله ملكا على كل إسرائيل ، هو أيضاً جعلته النساء الأجنبيات يخطىء . فهل نسكت لكم أن تعملوا كل هذا الشر العظيم بالخيانة ضد إلهنا بمساكنة نساء أجنبيات[1] ) .

ونخلص من كل ما تقدم إلى القول إن هناك اختلافاً كبيراً ، وبوناً شاسعاً بين بنى إسرائيل الحقيقيين وأنبيائهم الذين يدعون إلى

---

(١) نحميا ١٣ : ٢٣ ـ ٢٧ .

الله وبين اليهود الذين أصبحوا خليطاً من الشعوب وأنبيائهم الذين يدعون إلى عبادة البعل والبعليم والعشتاروت وغيرهم من الآلهة .

فيهود اليوم هم سلالة القوم الذين لم يتهودوا إلا طمعاً فى اكتساب العصبية وبنوا دينهم على الخرافات تارة وعلى الماديات تارة أخرى حتى أتى حين من الدهر لم يكونوا شيئاً مذكوراً إلا فرقاً مشردة عاشت مشتتة بين الشعوب ، شاء المستعمر تحقيقاً لأهدافه ، وحفاظاً على مصالحه الحيوية أن يجمعها ويجعل منها شوكة فى جسد العرب والمسلمين .

— ٦ —

يستهدف اليهود القضاء على الدين المسيحى والدين الإسلامى على السواء ، يدل على ذلك أقوالهم وأفعالهم التى منها :

خطاب ( ليفى ) سكرتير الجامعة العالمية لليهود الأحرار فى اجتماع عقد بمدينة ( كاليفورنيا ) فى ( لوس أنجيلوس ) قال فيه :

( إن المسيحيين الخوارج الكفرة الذين يدعون أنهم أصحاب الحق الأقدس قد ساروا فى الطريق الخاطىء . وإننا ـ أصحاب العقيدة اليهودية ـ قد جاهدنا قروناً طويلة ، لندخل فى عقول أولئك الكفرة أن المسيح لم يوجد على سطح الأرض إطلاقاً ، وأن قصة العذراء

والمسيح كانت وستكون أبداً كاذبة ، وسنضع فى المستقبل القريب عندما ما يستولى الشعب اليهودى على منصة الأحكام فى الولايات المتحدة الأمريكية ـ استيلاء قانونياً فى رعاية الإله ـ يهوه ـ سنضع نظاماً جديداً للتعليم نثبت فيه أن الإله ـ يهوه ـ هو الذى يجب أن يعبد ، وأن قصة المسيح زيف وتزوير، وهكذا سنمحو المسيحية[1] ).

إن خطبة ليفى هذه تدل على المؤامرة العالمية التى تدبرها الصهيونية للقضاء على المسيحية ، وما فيها من سمو وقيم أخلاقية .

يقول الحاخام [ بينا موزربخ ] ( إن اليهودى لا يقنع بهزيمة المسيحية ، بل يريد تهديد أتباعها ، إنه يحطم العقيدة الكاثوليكية والبروتستينية إنه يريد إثارة الخلافات ، ثم إنه يفرض إرادته على العالم من ناحية الأخلاق والحياة ، يفرضها على أولئك الذين محا عقيدتهم ، إنه يعمل فى سبيل هدفه الأزلى ، وهو إذلال ديانة المسيح ) .

ومما يؤكد أن رغبة اليهود فى القضاء على المسيحية ليست فردية. ما جاء فى ( بروتوكول حكماء صهيون ) دستور الصهيونية العالمية ، وفى هذا الدستور ١٤ فقرة صريحة عن النزاع الشديد بين اليهودية

(١) من كتاب ان نكون لاجثين ( ص ١٦٠ ) للدكتور أحمد معوض .

والمسيحية وبين اليهودية والعقائد الأخرى ومنها :

( وعندما نصل إلى مملكتنا يصبح من غير المرغوب فيه لدينا ، وجود عقائد غير عقيدتنا ، وعلى ذلك يتعين علينا جميعاً أن نكتسح جميع الأديان والعقائد الأخرى جميعاً ، وإذا كان هذا يؤدى إلى وجود ملحدين ينكرون وجود الخالق ، فهذا ما لا يتعارض مع وجهة نظرنا، ويعتبر فى ذاته مرحلة تطور وانتقال ) .

* * *

عارض اليهود الإسلام والرسول الكريم منذ اللحظة الأولى ، فقد رأوا فى محمد ودينه منافساً جديداً يوشك أن يقضى على نفوذهم .

سار اليهود فى عداوة مع الرسول على غير هدى ، وأخذوا يصرحون بالشك فى رسالته لا لشىء سوى أنه عربى والنبوة مقصورة فى نظرهم عليهم . ولأنه أيضاً بعث فى الحجاز والنبوة فى رأيهم إنما تكون فى الشام موطن الأنبياء[1] .

لما رأى اليهود ازدياد عدد المسلمين وانتشار الإسلام يوماً بعد يوم وأن العرب يقبلون على محمد والإسلام ، وأن جميع مصالح اليهود القائمة على ارستقراطية دينية فرضوها على العرب بقولهم إنهم

(١) جمال سرور : قيام الدولة العربية ص ١٤٤ .

شعب الله المختار وأبناء الله وأحباؤه ، أصبحت مهددة باستقرار الأمر لهؤلاء العرب . لما رأوا ذلك أيقنوا أن لا سبيل للمحافظة على هذه المصالح وضمان اطمئنانهم فى الجزيرة العربية إلا بالقضاء على محمد وأتباعه [1].

حاول الرسول أن يجذب اليهود إلى الإسلام ، بل إن المؤرخ ( توماس أرنولد [2]) يذهب إلى أن اتخاذ بيت المقدس قبلة للمسلمين فى الصلاة ـ قبل اتخاذ الكعبة ـ كان المقصود به استمالة اليهود .

وقد حاول الرسول الكريم استرضاءهم بوسائل أخرى كثيرة ـ فدأب على الاستشهاد بكتبهم المقدسة ، ومنحهم الحرية التامة فى إقامة شعائرهم الدينية وساوى بينهم وبين المسلمين فى الحقوق السياسية ولكنهم قابلوا صنيعه باستهزاء وسخرية فلما شعر الرسول بأنه لا جدوى من جذب اليهود إلى الإسلام أمر المسلمين أن يولوا وجوههم شطر الكعبة .

وقد اتخذ اليهود من الرسول الكريم وصحبه عدة مواقف ، نجتزىء منها ما يأتى :

---

(١) على حسنى الخربوطلى : محمد والقومية العربية ص ١٠٧ .
(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٤٧ .

أولا : بعد أن أسلمت قبيلتا الأوس والخزرج وهما سكان يثرب (المدينة) وهاجر الرسول وصحابته إليهـــا ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأصبح المسلمون فيها كتلة قوية متحابة ، عز هذا على يهود يثرب وغاظهم تآلف المسلمين ، فأوعز أحد اليهود واسمه (شاس ابن قيس) إلى شاب يهودى أن يجلس بين الأوس والخزرج وينشد ما قال بعضهم لبعض أيام الجاهلية ، من تفاخر وتنابذ بالألقاب ، ليثير بينهم العداء القديم ، ففعل ... فتنازع القوم ، وتغاضبوا ، وقالوا: [ السلاح السلاح ] فأدركهم رسول الله (ص) ، وقال : أتدعون إلى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم .

فعلموا أنها كيد من اليهود ، وألقوا السلاح واستغفروا ، وفى هذا نزل القرآن الكريم بقوله [ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب ، يردوكم بعد إيمانكم كافرين [1] ] .

ثانياً . تكررت محاولات اليهود فى إثارة الفتن بين المسلمين فى المدينة ، فاضطر هؤلاء إلى إجلاء اليهود عنها تباعاً ، حرصاً على الوحدة والدين ، لكن اليهود لم يسكتوا بعد جلائهم عن المدينـة ، وذهب

(١) سورة آل عمران .

بعضهم إلى مكة ليثيروا ثائرة القرشيين الوثنيين ضد محمد وأصحابه . ووصل بهم الأمر إلى أن قالوا للقرشيين أن وثنية هؤلاء أفضل من دين محمد . . مع العلم بأن دين محمد دين توحيد كدين موسى . وبهـــذه الخديعة تمكن اليهود من الاتفاق مع قريش للايقاع بالمسلمين . وتحالفت قبيلة بنى النضير اليهودية مع قريش ، وتجمعوا آلافاً عدة من قريش وبنى النضير وغيرهم ، وذهبوا إلى المدينة ليضربوا المسلمين ضربة قاضية ، فكانت وقعة الخندق المعروفة ، وفيها حفر المسلمون خندقاً حول المدينة فعجزت الأحزاب عن غزوها ، وعسكرت خارجه. ولما طال أمد الحصار ، ولم تطق الأحزاب صبراً ، لجئوا إلى إغراء بنى قريظة القبيلة اليهودية الباقية فى المدينة ، لتنقض عهدها الذى عقدته مع المسلمين .. ففعلت . ومنعت عن المسلمين المحاصرين المدد والميرة . وقد انتهى الأمر بهزيمة الأحزاب ورجوعهم[1] .

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الغزوة فى الآيات :

[ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا[2] ] .

---

(١) الدكتور محمد حسين هيكل : حياة محمد .

(٢) سورة الأحزاب .

ولما عجزت مؤامرة اليهود وحروبهم عن هزيمة محمد والمسلمين عمدوا إلى قتله غدراً كدأب آبائهم فى قتل أنبيائهم . ومن ذلك ما روى من أن عمرو بن جحاش بن كعب من يهود بنى قريظة قد همّ بقتل محمد بطرح رحى عظيمة عليه وهو جالس فى دارهم ومستند إلى جدارهم لولا أن أمسك الله يد عمرو وأخبر محمد بواسطة جبريل عليه السلام فانسحب من مكانه وخرج ولم يصبه سوء وكان معه الخلفاء الأربعة . ونزل فى ذلك قوله تعالى :

[ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون[1] ] .

وكذلك روى أن زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم زعيم خيبر حاولت قتل محمد (ص) غدرا بعد أن وقع الصلح مع خيبر فأهدت إلى محمد شاة مسمومة فجلس هو وأصحابه ليأكلوها فتناول عليه السلام الذراع فلاك منها مضغة فلم يستطع إساغتها وكان معه بشر بن البراء فتناول منها مثل ما تناول الرسول فأساغها وازدردها .

فأما الرسول فقد لفظها وهو يقول : إن هذا العظم ليخبرنى أنه

(١) سورة المائدة : ١١ والقصة فى تفسير البيضاوى ج ٢ ص ١٤٠ .

مسموم . ثم دعا زينب وسألها فلم يسعها إلا الاعتراف بالجريمة ، وأما بشر فقد مات من هذه الأكلة المسمومة الغادرة .

وقد حاول اليهود الدس على الاسلام لإفساد العقيدة ، وإبعاد المسلمين عن حقيقة دينهم .

وهذه الاسرائيليات معروفة عند المتخصصين فى الدراسات الإسلامية ، ومن أشهر آثارها فى المكتبة الاسلامية تفسير الخازن الذى عرف بأنه يحوى قدراً كبيراً من الاسرائيليات .

وقد كانت بداية الخطة التى حاولت فيها الاسرائيلية الدخول فى عقائد الاسلام ممثلة فى رجل يدعى عبد الله بن سبأ الذى اجتمع حوله بعض الناس ، وابتدأت على يديه البدع والضلالات ، وظهرت الخلافات .

ومما يذكر عن عبد الله بن سبأ أنه قال لعلى بن أبى طالب — كرم الله وجهه — أنت أنت ، يعنى أنت الإله . فنفاه إلى المدائن . ويقال إن ابن سبأ كان يهودياً ثم أسلم ، وكان يقول فى يوشع بن نون وصى موسى ، مثل ما قال فى على بن أبى طالب . وعن طريق ابن سبأ ظهرت فرق الغلاة وزعموا أن عليا حى لم يقتل ، وفيه الجزء الإلهى ، ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الذى يجىء فى السحاب ،

والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً وقد قال ابن سبأ هذه الأقوال الكافرة بعد وفاة على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وقد ظهرت فى فترات مختلفة من التاريخ الإسلامى أثر الدعوات الإسرائيلية المنحرفة ، ففى أيام المنصور ظهر رجل يدعى « عوفيد ألوهيم » وسمى نفسه أبا عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى وكان قد بدأ دعوته فى أيام مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية ، وتبعه كثيرون من اليهود ، وزعموا أنه له آيات ومعجزات ، وادعوا أنه لما حورب خط على أصحابه خطاً يعود من الخشب وقال لهم .

— أقيموا فى هذا الخط فليس ينالكم عدو بسلاح .

وظل هذا الإسرائيلى يحارب حتى التقى بأصحاب المنصور فى بلدة « الرى » فقتل وقتل أصحابه .

كما ظهر إسرائيلى آخر يدعى « موشكا » كان يحرض أصحابه على الخروج على الدولة ومحاربتها ، وخرج مع تسعة عشر رجلا لمحاربة المنصور فقتل بناحية «قم » ومن أغرب ماقال به « موشكا »

اعترافه بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام فى العرب وسائر الناس ماعدا اليهود ! !

وقد استطاعت الصهيونية فى فترات مختلفة اقحام نفسها فى السياسة عن طريق اعتناق بعض أفرادها من الإسرائيليين للدين الإسلامى ، ومن أشهر هؤلاء ( كاميل باشا ) الذى اعتنق الإسلام وأصبح رئيساً للوزارة فى عهد السلطان عبد الحميد أيام الخلافة العثمانية .

واليهود الذين تآمروا ضد الدين المسيحى والدين الإسلامى ، تآمروا أيضاً على حرية الإنسان وكرامته ... فقد ورد فى دائرة المعارف اليهودية ما يلى[1] :

وكان من الطبيعى أن يسهم اليهود فى تجارة الرقيق ، التى كانوا صالحين لها كل الصلاح ، بالنظر إلى معرفتهم الواسعة باللغات ، وعلاقاتهم المنتشرة فى جميع أرجاء العالم .

ولقد ظهر تجار الرقيق اليهود إلى حيز الوجود منذ القرن الأول للحقبة المسيحية فى أوربا ، وقد تزايد نشاطهم بصورة خاصة بعد القرن السادس ..

---

(١) المجلد التاسع ص ٥٦٥

وجاء فى الموسوعة اليهودية[1] — وهـذه الموسوعة غير دائرة المعارف اليهودية التى أشرنا إليها — ما يلى :

وقد أصبح اليهود فى القرن السادس ، أكبر تجار الرقيق فى العالم وكان العبيد البريطانيون الذين يحملون إلى أسواق النخاسة الرومانية سـلعة يتناولهـا تجار الرقيق اليهود ، وشرع هؤلاء التجار اليهود يحملون العبيد فى القرن التاسع من الغرب إلى الشرق ، ومن الشرق إلى الغرب . وكان الـكثيرون من يهود أسبانيا مدينين بثرائهم إلى تجارة الرقيق .

* * *

ويتضح لنا من هـذا كله أن اليهود يتآمرون منذ فجر التاريخ على الأديان ، وضد حرية الإنسان وكرامته وحقه فى الحياة الـكريمة . ومن المحتم على الذين يؤمنون بحق الإنسان فى الحيـاة الحرة الـكريمة ، أن يقفوا صفاً واحداً ضد هذا التيار الماحق المدمر، لينحسر عن أرضنا لنعيش حياة طيبة آمنة ...

(١) المجلد الثانى ص ٤٠٩

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ ش مارع الأصبغ الزيتون ت ٨٦٤٨٧١

مكتبة الإسكندرية